التبيان

فيما يبطل عمل الإنسان

جمع وإعداد شباب مسجد سعيد بن جبير رحمه الله
كيفان بالكويت المنكوبة رفع الله كربهم

قدم له وراجعه سماحة الشيخ
عبدالرحمن بن عبدالخالق

الناشر
مكتبة التربية الإسلامية
لإحياء التراث الإسلامي
ت : ٨٦٨٦٠٥

الطبعة الأولى بمكتبتنا
١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

الناشر
مكتبة التربية الإسلامية
لإحياء التراث الإسلامي

١٤ ش سويلم من ش الهرم خلف مسجد الأنصار الطالبية ت : ٨٦٨٦٠٥


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله الأمين وعلى من اهتدى بهديه وعمل بسنته إلى يوم الدين .

و بعد ،،،

فقد اطلعتُ على هذه الرسالة المباركة التي أعدها شباب مسجد سعيد بن جبير فوجدتها قد عالجت موضوع مبطلات الأعمال علاجاً طيباً، وقد حوت فوائد كثيرة، وموعظة حسنة، وحذرت مما يبطل الأعمال كلها أو بعضها، وهذا خطر عظيم لا يفطن له كثير من الناس، ولذلك فالرسالة حَرِيَّةٌ بالقراءة ، جديرة بالعناية ، نسأل الله أن ينفع بها إنه سميع مجيب .

عبدالرحمن بن عبدالخالق

☆ مقدمة شباب المسجد :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (1) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (2) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (3) .

أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

---

(1) سورة آل عمران : آية ١٠٢ .

(2) سورة النساء : آية ١ .

(3) سورة الأحزاب : آية ٧٠ ، ٧١ .

قال الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ (١) .

يأمر الله عز وجل في هذه الآية عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله وينهاهم عن إبطال أعمالهم الصالحة .

وإيماناً منا بضرورة تعريف المسلم بهذه المبطلات حتى يكون على حذر منها ولا يبطل عمله وهو لا يشعر ، قمنا بتتبع ما يبطل العمل الصالح في كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد - ﷺ - فضمناه في هذا البحث ، الذي سعينا أن نجعله سهلاً ميسراً لعلنا نفيد إخواننا المسلمين به .

وسيكون منهجنا فيه بأن نضع توطئة لطيفة تمهد للموضوع ، ثم نقسم العمل الصالح الذي حبط ثواب صاحبه في الآخرة إلى قسمين :

القسم الأول : العمل الصالح الذي يقع باطلاً لا أجر لصاحبه فيه وهو :

١ - عمل الكافر .

٢ - عمل المنافق .

٣ - عمل المسلم الذي يؤديه وهو متلبس بمعصية .

القسم الثاني : العمل الصالح الذي يكتب لصاحبه حسنات، ثم يبطله صاحبه بعد ذلك بإحدى المبطلات التالية : وهي على ثلاثة أنواع :

---

(١) سورة محمد : آية ٣٣ .

النوع الأول : مبطلات تبطل عمل العبد جميعه وهي :

١ - الردة عن الإسـلام : وهي أن يخرج المسلم من الـدين بـإحـدى المكفرات التالية :

أ - الاستهزاء بالله أو برسله أو بدينه .

ب - الشرك بالله شركاً أكبر .

جـ - النفـاق .

د - إنكار ما عُلِمَ من الدين بالضرورة .

هـ - ترك الصلاة .

و - تعلم السحر والإتيان به .

النوع الثاني : مبطلات تبطل بعض عمل العبد وليس جميعه وهي :

١ - التألّي على الله تعالى .

٢ - رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ .

٣ - الاعتداء على حقوقِ وحرماتِ المسلم .

٤ - انتهاك حرمات الله في السر .

النوع الثالث : مبطلات تبطل أعمالًا معينة عينها الشارع وهي :

١ - الرياء : ويبطل فقط العملَ المرائي به .

٢ - المنّ والأذى يبطل الصدقة .

ثم نختم البحث بخاتمة تبين أصل الأمر وحقيقته .

وقد اشترك مجموعة من شباب مسجد سعيد بن جبير، في إعداد هذا

البحث، وسميناه « التبيان فيما يبطل عمل الإنسان » .

فنسأل الله التوفيق في ذلك ، وأن يتقبله منّا إنه سميع قريب مجيب الدعاء، فإن أصبنا فمن الله وحده وبفضله ومنته، وإن أخطأنا فمنا ومن الشيطان ونتبرأ منه إلى يوم الدين . ونستغفر الله منه ونتوب إليه .

هذا ونتقبل نُصْحَ كل مسلم ناصح ، ورحم الله امرأً أهدى إلينا أخطاءنا .

شباب مسجد سعيد بن جبير

☆ توطئـــة :

— مفهوم كلمة (حَبِطَ) ، وكلمة (تبطلوا) - بَطَل :

حبطَ : قال ابن الأثير[1] .

أحبط الله عمله : أي أبطله ، يقال حبط عمله يحْبَطُ وأحبطه غيرُه وهو من قولهم: حَبِطَتِ الدابة حَبَطاً - بالتحريك - إذا أصابت مرعى طيباً فأفرطت في الأكل حتى تنتفخ فتموت .

وقال ابن منظور في لسان العرب :

حبط حبْطاً وحبوطاً : عمل عملاً ثم أفسده ، قال الأزهري : إذا عمل الرجل عملاً ثم أفسده قيل حَبطَ عملُه ، وأحبطه صاحبُه ، وقال الجوهري : بطل ثوابه وأحبطه الله .

وأما بطل : قال ابن منظور :

بطل الشيء يَبْطُل بُطْلاً وبُطْلاناً ، ذهب ضياعاً وخسراً .

وقد جاء الإحباط في كتاب الله العزيز بمعنيين ، كما قال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله تعالى : إن الإحباط إحباطان : أحدهما إبطال الشيء للشيء وإذهابه جملةً كإحباط الإيمان للكفر والكفر للإيمان وذلك في الجهتين إذهاب حقيقي ، ثانيهما : إحباط الموازنة ،

(١) في النهاية : (١/٣٣١) .

إذا جعلت الحسنات في كفة والسيئات في كفة . فمن رجحت حسناته نجا ، ومن رجحت سيئاته وقف في المشيئة إما أن يغفر له وإما أن يعذب، فالتوقيف إبطال ما لأن توقيف المنفعة في وقت الحاجة إليها إبطال لها، والتعذيب إبطال أشد منه إلى حين الخروج من النار ، ففي كل منهما إبطال نسبي أطلق عليه اسمُ الإحباط مجازاً وليس هو حقيقة ، لأنه إذا أخرج من النار وأدخل في الجنة عاد إليه ثواب عمله ، وهذا بخلاف قول الإحباطية الذين سوّوا بين الإحباطين وحكموا على العاصي بحكم الكافر وهم معظم القدرية والله الموفق »[1] .

أي كما أن هناك كفراً دون كفر ، هناك إحباط دون إحباط . إحباط يبطل العمل جميعه كإحباط الكفر للإيمان كما بين الشيخ رحمه الله ، وإحباط دون الأول لا يُحبط العملَ جميعَه ولكن يحبط شيئاً من العمل .

(١) نقلاً من فتح الباري ١/١١٠ بتصرف .

القسم الأول : العمل الصالح الذي يقع باطلاً لا أجر لصاحبه فيه وهو:

أولاً : عمل الكافر :

إن ما يقدمه الكافر من أعمال صالحة كصدقة وإطعام لمسكين وغيرها ـ التي هي في حقيقتها أعمال صالحة ـ لا تنفعه عند الله تعالى ولن يكون له حظ في الآخرة ، وذلك لأنه فقد أصل قبول العمل وهو الإيمان بالله والدخول في الإسلام ، قال الله تعالى عنهم : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [1] .

وقال تعالى أيضاً : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[2].

وقد بيّن هذه الحقيقة رسولُ الله ﷺ ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت: يارسول الله، ابنُ جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه ؟ قال : لا ينفعه ، إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين » رواه مسلم .

فالعمل الصالح للكافر هو في حقيقته عمل صالح ولكنه لا يكتب له به حسنات بل يُمتَّع به في الدنيا ـ إذا شاء الله ذلك ـ ثم إذا رجع إلى الله تعالى يوم القيامة لم يجد عنده شيئاً ، قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ

(١) سورة الفرقان : أية ٢٣ .
(٢) سورة هود : أية ١٥ ، ١٦ .

يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ (١) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ :« إن الله لا يظلم مؤمناً حسنةً يُعْطَى بها في الدنيا ، ويُجزى بها في الآخرة . وأمَّا الكافر فَيُطعم بحسناتٍ ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها » .(٢)

ثانياً : عمل المنافق :

قال الله تعالى عن المنافقين ﴿ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٣) وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ (٣)

وقال أيضاً عنهم : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (٤) .

والمنافقون هم الذين أظهروا الإسلام للناس وأبطنوا الكفر فهم في عِداد الكافرين وقد بينا أن الكافرين ليس لهم حظّ في الآخرة ، فكل ما يعملونه من عمل صالح لن يتقبله الله منهم ولن يَكتب لهم به

---

(١) سورة الأحقاف : آية ٢٠ .
(٢) رواه مسلم
(٣) سورة التوبة : آية ٥٣ ، ٥٤ .
(٤) سورة محمد : آية ٢٨ .

حسنات (١) .

ثالثاً عمل المسلم الذي يؤديه وهو متلبس بمعصية (٢) :

اختلف أهل العلم في المسلم الذي يؤدي العبادة وهو متلبس بمعصية هل تصح تلك العبادة ويكتب الله له بها حسنات أم لا ؟ كأن يصلي المسلم في الأرض المغصوبة أو يصلي بثوب مغصوب ، أو يتوضأ بماء مغصوب وهكذا ، فذهب الإمام أحمد في أصح الراويتين عنه ، إلى أنها لا تصح وذلك لأنه أدى العبادة على الوجه المنهى عنه ، ولأن النهي يقتضي تحريمَ الفعل واجتنابَه والتأثيمَ بفعله فكيف يكون مطيعاً بما هو عاصٍ به ، مُمْتثِلاً بما هو محرم عليه ، مُتَقَرِّباً بما يبعد عنه ، وذهب الإمام أبو حنيفة ومالك والشافعي إلى أنها تصح لأن النهي لا يعود إلى العبادة نفسها، فلم يمنع صحتها وإنما النهي يعود إلى الغصب، فهو عاصٍ من وجه متقرب من وجه .

(١) لم نكثر الكلام على النفاق والمنافقين مع خطرهم العظيم على الإسلام والمسلمين ، وذلك لأن الله قد تكفل بهم وفضحهم في سور كثيرة ، فراجع إن شئت هذه السور وتفسير أهل العلم لها : كأوائل سورة البقرة ، وسورة التوبة ، وسورة محمد وغيرها وانظر كتاب صفة النفاق للفريابي بتحقيق الأخ بدر البدر .

(٢) راجع بذلك المجموع ٣/١٦٤ ، المغنى ٢/٧٤ .

القسم الثاني : العمل الصالح الذي يكتب لصاحبه حسنات ثم يبطله صاحبه بعد ذلك بإحدى المبطلات :

المبطلات التي تبطل عمل العبد على ثلاثة أنواع :
النوع الأول: مبطلات تبطل عمل العبد جميعه وهي:-

١ - الردة عن الإسلام : وهي الرجوع عن الإسلام إلى الكفر :

كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١) .

فالمرتد قد أحبط الله عمله لأنه صار بهذه الردة كافراً ، وقد بيّنا آنفاً أن الكافر ليس له حظ في الآخرة ، وأن الله قد أحبط عمل الكافرين .

قال الشوكاني (٢) : والردة الرجوع عن الإسلام إلى الكفر ، والتقييد بقوله ﴿ فيمت وهو كافر ﴾ يفيد أن عمل المرتد إنما يبطل إذا مات على الكفر ، وقد اختلف أهل العلم في الردة ،

---

(١) سورة البقرة : جزء من آية ٢١٧ .
(٢) في تفسيره (٢١٨ / ١) .

هل تحبط العمل بمجردها أم لا تحبط إلا بالموت على الكفر ، والواجب حمل ما أطلقته الآيات في غير هذا الموضع على ما في هذه الآية من تقييد ، ومعنى قوله ﴿ في الدنيا والآخرة ﴾ أنه لا يبقى له حكم المسلمين في الدنيا ، فلا يأخذ مما يستحقه المسلمون ولا يظفر بحظ من حظوظ الإسلام ولا ينال شيئاً من ثواب الآخرة الذي يوجبه الإسلام ويستحقه أهله».

ومن المكفرات التي عدها أهل العلم ردةً بحيث إن فعلها المسلم أصبح مرتداً ما يلي :-

أ - الاستهزاء بالله أو بكتابه أو برسله أو بدينه: ولو كان المستهزىء هازلاً لم يقصد حقيقة الاستهزاء ، قال الله تعالىٰ عن المنافقين : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ .... ﴾[1].

فباستهزائهم أصبحوا كافرين وذلك لأنه لا يجتمع الإيمان بالله وبكتبه وبرسله ، والاستهزاءُ بذلك في قلب رجل أبداً ، قال صاحب تيسير العزيز الحميد (٦١٧) : أجمع العلماء على كفر من استهزأ بالله أو بكتابه أو برسوله أو بدينه سواء كان قاصداً حقيقةَ الاستهزاءِ أم هازلاً » مختصراً .

(١) سورة التوبة : آية ٦٥ ، ٦٦ .

ب ـ الشرك بالله شركاً أكبر :

من أعظم الذنوب التي تحبط عمل العبد جميعه الشرك بالله شركاً أكبر كما قال الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [1] .

قال ابن جرير الطبري [2] : يقول لئن أشركتَ بالله شيئاً يا محمد ليبطلنّ عملك ولا تنال به ثواباً ولا تدرك جزاءً إلا جزاءَ مَنْ أشرك بالله » .

وكذلك قال تعالى عن أنبيائه المصطفَيْنَ مُمْتَنّاً عليهم هدايتَه : ﴿ ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾ [3]

قال ابن جرير الطبري [4] : يقول ولو أشرك هؤلاء الأنبياء الذين سميناهم، بربهم تعالى ذِكْرُه فعبدوا معه غيره (لحبط عنهم) يقول: لبطل فذهب عنهم أجر أعمالهم التي كانوا يعملون ، لأن الله لا يقبل مع الشرك به عملاً » . فهذا حال الأنبياء فما بالك بحال مَنْ دونهم .

والشرك الأكبر أنواع كثيرة ، منها شرك الربوبية وهو أن يعتقد

(١) سورة الزمر : آية ٦٥ .
(٢) في تفسيره (٢٤ / ٢٤) .
(٣) سورة الأنعام : آية ٨٨ .
(٤) الطبري (٢٦٣ / ٧) .

العبد أن هناك مخلوقاً له تصرفٌ في الخَلْق ، كما هو حال كثير من غلاة عبّاد القبور من المسلمين الذين يزعمون أن أرواح الأولياء تتصرف بعد الموت فيقضون الحاجات ، ويفرجون الكربات، وينصرون مَنْ دعاهم ويحفظون مَنْ التجأ إليهم ولاذَ بحماهم، فإنّ هذه من خصائص الربوبية التي هي من حق الله تعالى وحده ، فلا تُطْلب إلا منه كما قال تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (١)

وقال تعالى أيضاً : ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ (٢) وهؤلاء الغلاة وقوعُهم في شرك الربوبية أدّى بهم أن وقعوا في شرك العبادة ـ وهو النوع الثاني من أنواع الشرك الأكبر ـ فتجدهم يدعون أصحابَ هذه القبور وغيرَهم كما يدعون الله، واللهُ تعالى يقول: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٣) .

وكذلك تجدهم يذبحون لهم الذبائح ويقربون لهم القرابين والهدايا ، والله عز وجل يقول : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة النمل : آية ٦٢ .

(٢) سورة المؤمنون : آية ٨٨ .

(٣) سورة يونس : آية ١٠٦ .

(٤) سورة الأنعام : آية ١٦٢ .

والنسك هو الذبح ، وتجدهم يغالون في ذلك فيرجون أصحاب القبور كما يرجون الله ويحبونهم كما يحبون الله ويخشونهم كما يخشون الله بل أشد خشية ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وقد لا نجد هذه القبور في ديارنا هذه - جزيرة العرب - ولكن نجد من مسلمي هذه الديار من وقع في شرك الربوبية وشرك العبادة ليس في أصحاب القبور ولكن في خَلْقٍ آخرَ مِنْ خَلْقِ الله ألا وهم الجن ، فتجدهم يعتقدون فيها أنها تقضي الحاجات وتفرج الكربات وترزق الأولاد وغيرها . فتجدهم يخشونها كخشية الله أو أشد خشية فيقربون لهم القرابين والذبائح ، ويرجونها كما يرجون الله . ولا حول ولاقوة إلا بالله .

وللأسف يظن أغلب هؤلاء أنهم يحسنون صنعاً وأن لهم من الأعمال الصالحة الشيء الكثير - من صلاة وصيام وحج وصدقة - ، ولكن إذا جاءوا يوم القيامة وجدوا ذلك هباءً منثوراً ، أحبطها الشرك بالله فخسروا الخسران المبين [1].

جـ - النفـاق :

قد يرتد المسلم عن دينه بأن يصبح من المنافقين الذين تكلمنا عنهم آنفاً أنهم يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام ، فيحبط الله بذلك عمله .

---

(١) ومن أراد الزيادة من موضوع الشرك فعليه بالكتب التالية : تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ، تطهير الجنان من درن الشرك والكفران ، وغيرهما .

والمسلم قد يعتريه من الفتن والمصائب ما يجعله من المنافقين وهو لا يشعر ، فلذلك وجب على كل مسلم أن يستعيذ بالله من النفاق وأهله ، ويطلب منه الثبات على هذا الدين ، وأن يجدد إيمانه حتى لا يقع في النفاق وهو لا يشعر . وهذا ما كان عليه سلفنا الصالح غفر الله لنا ولهم ، فقد كانوا يخشون النفاق ويحذرونه أشد الحذر ، فعن ابن أبي مليكة رحمه الله - أحد التابعين - قال : أدركتُ ثلاثين من أصحاب النبي - ﷺ - كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول:إنه على إيمان جبريل وميكائيل [١] .

د - **إنكار ماعلم من الدين بالضرورة**، بأن ينكر العبد المحرمات التي حرمها الله ولا يخفى تحريمها على مسلم ، كأن ينكر تحريم الربا أو الخمر أو الزنا ، أو ينكر واجباً أوجبه الله على عباده ولا يخفى وجوبُه على مسلم ، كأن ينكر وجوب الصلاة المكتوبة أو صيام رمضان أو الزكاة ، قال شارح العقيدة الطحاوية : وأيضاً فلا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة والمحرمات الظاهرة المتواترة ونحو ذلك فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل كافراً مرتداً [٢].

هـ - **ترك الصلاة** : فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » رواه

---

(١) ذكره البخاري تعليقاً في صحيحه (الفتح ١/١٠٩) .
(٢) ص٣٣٥ بتصرف .

مسلم وغيره ، وعن عبدالله بن شقيق العقيلي رحمه الله قال : كان أصحاب محمد ﷺ لا يَرَوْنَ شيئاً من الأعمال تركُه كفرٌ غير الصلاة» رواه الترمذي[1]، قال الشوكاني رحمه الله : والحق أنه كافر يقتل، أما كُفْرُه فَلِأَنَّ الأحاديث قد صحت أن الشارع سمى تارك الصلاة بهذا الاسم وجعل الحائل بين الرجل وبين جواز إطلاق هذا الاسم عليه هو الصلاة فتركُها مقتضٍ لجواز الإطلاق ولا يلزمنا شيء من المعارضات التي أوردها المعارضون لأنا نقول:لا يمنع أن يكون بعض أنواع الكفر غير مانع من المغفرة واستحقاق الشفاعة ككفر أهل القبلة ببعض الذنوب التي سماها الشارع كفراً ، فلا مُلجىء إلى التأويلات التي وقع الناس في مضيعتها »[2].

و - تعلم السحر والإتيان به[3] : كما قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ .الآية ﴾[4]، قال القرطبي رحمه الله : قوله تعالى : ﴿ وما كفر سليمان ﴾ تَبْرِئَةٌ من الله لسليمان ، ولم يتقدم في الآية أن أحداً نسبه إلى الكفر ولكن اليهود نسبته إلى السحر ، ولكن لما كان السحر كفراً صار بمنزلة من نسبه إلى الكفر ، ثم قال ﴿ ولكن الشياطين كفروا ﴾

(١) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ..

(٢) في النيل (٢/١٣) بتصرف .

(٣) راجع إن شئت الزيادة في هذا الموضوع الكتب التالية: تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ٢/٤١، تيسير العزيز الحميد ٣٨٣ ، تفسير ابن كثير ١/٢٣٣ .

(٤) سورة البقرة : آية ١٠٠ .

فأثبت كفرهم بتعليم السحر »[1].

ويلحق بالسحر الكهانة والعرافة وهي ادّعاء علم الغيب وعلم المستقبل ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « من أتى عرّافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » رواه أحمد وغيره [2] .

فهذا حال السائل فما بالك بالمسئول ، وذلك لأنه لا يعلم الغيب إلا الله عز وجل كائناً من كان ، قال تعالى : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [3] ..

(١) في تفسيره : (٢ / ٤٣) .
(٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير .
(٣) سورة النمل : آية ٦٥ .

النوع الثاني : مبطلات تبطل بعض عمل العبد وليس جميعه وهي :-

١ - التألي [١] على الله :

عن جندب أن رسول الله ﷺ حدث : أن رجلاً قال : والله لا يغفر الله لفلان ، وأن الله تعالى قال : « من ذا الذي يتألى عليَّ ألّا أغفر لفلان ، فإني قد غفرتُ لفلان وأحبطتُ عملك أو كما قال » رواه مسلم .

فهذا الرجل قد تعدىٰ على حق من حقوق الله تعالىٰ وحلف أن لا يغفر الله لفلان وما يدريه لعل الله يغفر له ، فهل لأحد أن يتدخل في رحمة الله ومشيئته أو يقول على الله بلا علم ؟ .

والتألي على الله باب من أبواب القول على الله بلا علم وله من الإثم العظيم ما يحبط عمل صاحبه ، فما بالك بالأبواب الأخرىٰ من أبواب القول على الله بلا علم ، كأن يُحلل العبدُ ما حرم الله ويحرم ما أحل الله ، أو يشرع لعباد الله ما لم يشرع الله لهم ،أو يتكلم في دين الله بما شاء وكيف شاء ، فهذا بلا شك أعظم جرماً وفريةً على الله ، قال الله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [٢] .

---

(١) قال النووي في شرح مسلم: يتألى أي يحلف، والألية اليمين .

(٢) سورة النحل آية ١١٦ ، ١١٧ .

وجعل الله من أعظم الذنوب القولَ عليه بلا علم ، قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وللأسف فإن كثيراً من المسلمين في يومنا هذا يتقوّلون على الله بلا علم ويتكلمون في شرعه بدون بينةٍ منه تعالى ولا من رسوله ﷺ ، وتجدهم إذا تكلّم الرجل بشيء من أمور الدنيا كالصناعة مثلاً وهي ليست من اختصاصه أنكروا عليه لأنه ليس من أهلها ، وأما إذا تكلّم أحدهم بشرع الله بلا علم وهو ليس أهلاً لذلك فلا ينكر عليه أحد - إلا من رحم الله - مع أنه بهذا الفعل قد أغضب الجبار عز وجل ، فالواجب على ولي الأمر أن يردع كل من تسول له نفسه أن يتكلم في دين الله بلا علم .

٢ - رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ :

كما قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (٢) .

فالله عز وجل يأمر في هذه الآية بتعظيم رسوله ﷺ وتوقيره وخفض الصوت بحضرته وعند مخاطبته حتى لا تحبط أعمالنا ونحن لا

(١) سورة الأعراف : آية ٣٣ .
(٢) سورة الحجرات : آية ٢ .

نشعر ، قال ابن كثير [1] : وقوله عز وجل : ﴿ أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ أي: إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك فيغضب الله تعالىٰ لغضبه ، فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يدري كما جاء في الصحيح : إن الرجل يتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالىٰ لا يلقي لها بالاً يكتب له بها الجنة ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالىٰ لا يلقي لها بالاً يهوى بها في النار أبعد ما بين السماء والأرض » [2].

قال أبوبكر بن العربي رحمه الله : « حرمة النبي ﷺ ميتاً كحرمته حياً وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثال كلامه المسموع من لفظه فإذا قرىء كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه ولا يعرض عنه كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند التلفظ به ، وقد نبه الله سبحانه على دوام الحرمة المذكورة على مرور الأزمنة بقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [3] وكلامه ﷺ من الوحي وله من الحكمة مثل ما للقرآن إلا معاني مستثناة بيانها في كتب الفقه » [4].

---

(١) في تفسيره (٣٧٠ / ٦) .

(٢) كما في حديث النبي ﷺ : ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالىٰ ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالىٰ ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه سخطه إلى يوم القيامة »: رواه أحمد وغيره ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير .

(٣) سورة الأعراف : آية ٢٠٤ .

(٤) من كتاب أحكام القرآن للقرطبي ١٦/٣٠٧ بتصرف .

فليت الأمر قد وقف إلى حد رفع الصوت في هذا الزمان ، بل تجاوز هذا إلى ترك هديه وضرب قوله عرضَ الحائط ، وأُخذت أقوال اليهود والنصارىٰ وحكم بها في أموال المسلمين وأعراضهم ودمائهم ونحن بعد ذلك ندعي حبه عليه الصلاة والسلام، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٣ ـ الاعتداء على حقوق وحرمات المسلم :ـ

لقد جعل الله عز وجل الاعتداء على حقوق ومحرمات المسلم من الذنوب التي تَمْحَق حسنات العبد ، وذلك تعظيماً لحقوق المسلمين وحرماتهم ، مصداقاً لقول النبي ﷺ : « لَزَوالُ الدنيا أهونُ عند الله من قتل رجل مسلم » رواه الترمذي وغيره [١] .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « أتدرون ما المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال :« المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فنيت

(١) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير .

حسناته قبل أن يُقْضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ، ثم طُرح في النار » . رواه مسلم .

فمن أكل من أموال الناس بالباطل في الدنيا - بالربا وبالغش وبالزور والخداع - أو اعتدى على أعراضهم ، فسيأخذونها منه يوم القيامة حسنات أو يَطْرحون عليه من سيئاتهم ، فإنه لا دينار ولا درهم يوم القيامة ولكن حسنات وسيئات .

٤ - انتهاك حرمات الله في السر :-

عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : لأعلَمَنَّ أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاً فيجعلها الله عز وجل هباء منثوراً، قال ثوبان: يارسول الله، صِفْهم لنا، جَلِّهِمْ لنا، أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم ، قال : أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون ، ولكنهم أقوامٌ إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها » رواه ابن ماجه .(١) .

فهؤلاء أناس من المسلمين يعملون ما يعمل المسلمون من صلاة وصيام وصدقة ، ولكنهم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها ، فبدلاً من أن يستعينوا بالله على دفعها ويستعيذوا به من الشيطان الرجيم ، إذا هم

---

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير .

ينتهكونها ، والنبي ﷺ قال: إنهم انتهكوا محارم الله ولم يقل: نالوا منها مثلاً ، وذلك لما في الانتهاك [1] من المبالغة في خرق محارم الشرع وإتيانها ، فهم لم يكتفوا بالنَّيل منها ، بل انتهكوها بوحشية، حالهم كحال الذي قد ظفر بمراده بعد عناء طويل ، فهم أمام الناس أتقياء وفي الباطن منتهكون لمحارم الله عز وجل ، فجازاهم الله بأن فضحهم على رؤوس الأشهاد يوم القيامة وأبطل أعمالهم ، والله على كل شيء شهيد .

(١) قال ابن منظور في لسان العرب : النَّهْك : المبالغة في كل شيء ، قال الأصمعي : النهك أن تبالغ في العمل ، فإن شتمت وبالغت في شتم العرض قيل: انتهك عرضه ، قال ابن الأثير في النهاية ٥/١٣٧ : وفي حديث ابن عباس : إن قوماً قتلوا فأكثروا وزنوا وانتهكوا » أي بالغوا في خرق محارم الشرع وإتيانها » .

النوع الثالث : مبطلات تُبطل أعمالا معينة من عمل العبد عيّنها الشارع :

١ - الرياء (ويبطل العمل الذي يُرائى به صاحبه) : [١]

وهو أن يقوم العبد بالعبادة التي يُتقرب بها لله لا يريد الله عز وجل بل يريد مدْحَ الناس أو عرضاً دنيوياً ، وهو من الذنوب التي تحبط العمل المُرائى به، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى : «أنا أغني الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» رواه مسلم . فالله عز وجل يتبرأ من كل عمل أشرك به العبد أحداً غير الله ويرده على صاحبه ولا يتقبله منه ، قال ابن القيم رحمه الله : وهذا الشرك في العبادة يبطل ثواب العمل ، وقد يعاقب عليه إذا كان العمل واجباً فإنه ينزل منزلة من لم يعمله فيعاقب على ترك الأمر فإن الله سبحانه إنما أمره بعبادته خالصة ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [٢] فمن لم يخلص لله في عبادته لم يفعل ما أمر به بل الذي أتى به شيء غير مأمور به فلا يصح ولا يقبل منه ... » [٣] . وقد حذر النبي ﷺ أمته من هذا

---

(١) مختصراً من كتاب مقاصد المكلفين للشيخ عمر الأشقر حفظه الله ، وتيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد .

(٢) سورة البينة : آية ٥ .

(٣) الداء والدواء ١٩١ .

الداء أشد تحذير حتى لا تحبط أعمالهم وهم لا يشعرون ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر المسيح الدجال فقال : ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ فقلنا: بلى يارسول الله ، قال : الشرك الخفي ، أن يقوم الرجل فيصلي فيزيد من صلاته لما يرى من نظر الرجل إليه » رواه ابن ماجه [١] .

وقد ضرب الله عز وجل مثلاً لعمل المرائي كيف يذهب سُدًى ، وكيف أنه قد يظهر أمام الناس كأنه عمل عظيم ولكنه عند الله هباءٌ منثورٌ ، فقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [٢].

قال ابن كثير : « ضرب الله تعالى مثل ذلك المرائي بإنفاقه (فمثله كمثل صفوان) وهو الصخر الأملس ، (عليه تراب فأصاب وابل) وهو المطر الشديد (فتركه صلداً) أي أملس يابساً لم يبق عليه شيء من ذلك التراب ، وكذلك أعمال المرائين تذهب وتضمحل عند الله وإن ظهر لهم أعمال فيما يرى الناس كالتراب ولهذا قال تعالى : ﴿ لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ .

---

(١) وحسنه الألباني في المشكاة

(٢) سورة البقرة : آية ٢٦٤ .

٢ - المنّ والأذىٰ يبطل الصدقة :

من الذنوب التي تحبط صدقة العبد المنّ والأذىٰ فيها ، بأن يمنّ العبد بصدقته ويؤذي من تصدق عليه بالقول أو الفعل ، قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (١) ، قال ابن كثير في تفسيره : أخبر الله أن الصدقة تبطل بما يتبعها من المنّ والأذى فما يفي ثواب الصدقة بخطيئة المنّ والأذى » .

وقد وردت أحاديث في النهي عن المنّ والأذىٰ في الصدقة منها : عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :« ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم » قال : فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، فقال أبوذر : خابوا وخسروا ، مَنْ هم يارسول الله ؟ قال : « المسْبلُ إزارَه ، والمنان ، والمنفقُ سلعتَه بالحلف الكاذب » رواه مسلم . وقد ضرب الله لنا مثلاً للذي يمنّ بصدقته أو يؤذي فيها فقال تعالىٰ : ﴿ كالذي ينفق ماله رئاء الناس ... ﴾ قال ابن كثير : « أي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذىٰ كما تبطل صدقة من راءى بها الناس فأظهر لهم أنه يريد وجه الله ، وإنما مقصده مدح الناس له ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية ، مع قطع نظره عن معاملة الله تعالىٰ وابتغاء مرضاته » .

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٦٤ .

الخاتمة :

أخيراً تبين لنا مما سبق أن من شؤم الذنوب والمعاصي أنها تمحق بركة الأعمال الصالحة ، وتحبط ثوابها ، فكان لزاماً على كل مسلم يريد الآخرة ويسعى لها أن يتوب من ذنوبه من قبل أن يدركه الموت وهو لا يشعر ، وأن يسارع بالتوبة والاستغفار والرجوع إلى الله حتى يتوب الله عليه ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (١) ، وأن يحقق شروط التوبة النصوح ، من إقلاع عن الذنب ، والندم عليه ، والعزم أن لا يعود إليه ، ويُرْضي الآدميّ بأن يَرُدَّ إليه حقَّه - إن كان الذنب متعلقاً بالآدميين .

ولنعلم أنه إن كان في الدنيا هناك دينار ودرهم ونسب قد نرضي الآدميّ بها في الدنيا ، فإنه في الآخرة لا دينار ولا درهم ولا حسب ولا نسب بل حسنات وسيئات .

ولنعلم أيضاً أنه رُبَّ ذنبٍ صغير - فيما يبدو للناس - قد يُحبط ثواب عمل عظيم ، قال ابن رجب الحنبلي (٢) : لقد جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه ضرب عبداً فأعتقه وقال ليس لي فيه من الأجر

---

(١) سورة النساء : آية ١٧ .
(٢) نقلاً من كتاب لوامع الأنوار البهية للشيخ السفاريني - بتصرف ص ١/٣٧٧ .

مثل هذا ـ وأخذ عوداً من الأرض ـ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : من لطم مملوكه أو ضربه فإن كفارته أن يعتقه ، فجعل ابن عمر رضي الله عنهما أن عتقه كفارة لذنبه ، ولم يكن ذنبه من الكبائر فكيف بما كان من الأعمال المنافية لها ، كما يبطل المنّ الصدقة وتبطل المعاملة بالربا ثواب الجهاد كما قالت عائشة رضي الله عنها لأم ولد زيد بن أرقم إنه قد أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ إلا أن يتوب » (١) .

ولنعلم كذلك أن الأمر في الآخرة مقاصة بين الحسنات والسيئات ، ثم تسقط الحسنات المقابلة للسئيات وينظر إلى ما يفضل منها بعد المقاصة ، فإن رجحت حسناته على سيئاته ولو بحسنة واحدة دخل الجنة، وإن رجحت سيئاته على حسناته فهو في مشيئة الله، إن شاء عفا عنه بفضله ، وإن شاء عذبه بعدله جلّ وعلا ، كما قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢) .

وقد ضرب الله مثلاً للذي يعمل العمل ثم يُتبعه بما يُبطله ، حتى يتذكر أولو الألباب ، فقال تعالى : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ

(١) رواه الإمام أحمد والدارقطني عن أبي إسحاق السبيعي عن امرأته (أم العالية) عن عائشة . قال الدارقطني : أم العالية مجهولة لا يحتج بها .
(٢) سورة المائدة : آية ٤٠ .

ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١)

قال ابن كثير : قال البخاري عند تفسير هذه الآية عن عبيد بن عمير ، قال : قال عمر بن الخطاب يوماً لأصحاب رسول الله ﷺ : فيمن ترون هذه الآية نزلت ؟ ﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب ﴾ قالوا : الله أعلم، فغضب عمر فقال: قولوا: نعلم أو لا نعلم . فقال ابن عباس رضي الله عنهما: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك ، فقال ابن عباس رضي الله عنهما : ضربت مثلاً بعمل ، قال عمر : أي عمل ؟ قال ابن عباس : لرجل غني يعمل بطاعة الله ، ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي ، حتى أغرق أعماله .

وفي هذا الحديث كفاية في تفسير هذه الآية ، وتبين ما فيها من المثل بعمل من أحسن العمل أولاً ، ثم انعكس سيره فبدل الحسنات بالسيئات فأبطل بعمله الثاني ما أسلفه من الصلاح ، واحتاج إلى شيء من الأول في أضيق الأحوال فلم يحصل منه شيئاً وخانه أحوج ما كان إليه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار ﴾ وهو الريح الشديد ﴿ فيه نار فاحترقت ﴾ أي أحرق ثمارها ، وأباد أشجارها ، فأي حال يكون حاله ؟

(١) [البقرة ٢٦٦] .

وكذلك حال الكافر يكون يوم القيامة إذا رُدَّ إلى الله عز وجل ، ليس له خير فيستعتب كما ليس لهذا قوة فيغرس بستانه ،ولا يجد ماقدم لنفسه خيراً يعود عليه ، كما لم يغن عن هذا ولده ، وحرم أجره عند أفقر ما كان إليه ، كما حرم هذا جنته عندما كان أفقر ما كان إليها عند كبره وضعف ذريته »[1] .

والحمد لله رب العالمين

---

(١) في تفسيره .

الفهـــــرس

من مطبوعات مكتبة التوعية الإسلامية بالهرم ت : ٨٦٨٦٠٥

- آداب المشى إلى الصلاة .	تأليف : الإمام محمد بن عبد الوهاب .
- الإبداع فى كمال الشرع وخطر الابتداع	تأليف الشيخ : محمد بن صالح العثيمين
- الأجوبة المرضية عن الأسئلة المكية	تأليف الحافظ : ولى الدين العراقى
	دراسة وتحقيق : محمد تامر
- أحكام الجنائز	تأليف : عبد الله الجار الله
- أخبار سيبويه المصري	تأليف : الحسن بن زولاق
- أخلاق العلماء	تأليف : الحافظ أبى بكر الآجرى
- إرشاد الساري إلى عبادة الباري	تأليف : الشيخ محمد إبراهيم شقرة
- أركان الإسلام والإيمان	تأليف : الشيخ محمد بن جميل زينو
- استقلال الفقه الإسلامى عن القانون الرومانى .	تأليف : الدسوقي السيد عيد
- الاستيعاب لأدلة الحجاب والنقاب	تأليف : حسن بن عبد الحميد
- الإسراء والمعراج	تأليف : علي محمد شاكر
	تحقيق : حسين الجمل
- أسس اختيار الزوجة	تأليف : مصطفى عيد الصياصنه
- أسماء الله الحسنى ورسالة الترشيد .	تأليف : الشيخ رجائى بن محمد المصرى
- الأسماء والصفات عقلاً ونقلاً	تأليف : العلامة الشنقيطى
	تحقيق : شريف بن محمد فؤاد هزاع
- أصول الدين الإسلامي	تأليف : شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب
- الاعتصام بالكتاب والسنة وأثره في وحدة الأمة	بقلم الدكتور / عاصم عبد الله القريوتي
- أفلام الخلاعة والمسكرات والخمور	تأليف : الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود
- الإلمام بحكم القراءة خلف الإمام والجواب عما احتج به البخاري	تأليف : شيخ الإسلام ابن تيمية
	تحقيق : شريف محمد هزاع
- أهـــوال القيامـــة	تأليف : عبد الملك الكليب
- أولياء الله عقلاء ليسوا مجانين	تأليف : شيخ الإسلام ابن تيمية
	تحقيق : محمد شاكر الشريف
- إيضاح الدلالة في عموم الرسالة والتعريف بأحوال الجن	تأليف : شيخ الإسلام ابن تيمية
ويليه شرح حديث « بدأ الإسلام غريباً »	تحقيق : محمد شاكر الشريف
- إيقاظ الهِمّة لطلب علم الكتاب والسنة .	جمع وترتيب : عادل بن عبد الله السعيدان
- إيقاف الأبرار على ضعيف وواهى الآثار .	تأليف : محمد عمرو عبد اللطيف
	« تحت الطبع »

من مطبوعات مكتبة التوعية الإسلامية بالهرم ت : ٨٦٨٦٠٥

– البدائل المستحسنة لضعيف ما اشتهر	تأليف : محمد عمرو عبد اللطيف
على الألسنة . الجزء الثاني .	« تحت الطبع »
– بداية الشر والدعوة إلي وثن البربر	تأليف : رجائي بن محمد المصري المكي
– بذل الإحسان في تقريب سنن النسائي	تأليف : أبي إسحاق الحويني
أبي عبد الرحمن . المجلد الأول .	
– بذل الماعون في فضل الطاعون	تأليف : الحافظ ابن حجر العسقلاني
	تحقيق : أبي إبراهيم كيلاني محمد خليفة
	« تحت الطبع »
– براءة أهل السنة من تكفير عصاة الأمة	بقلم : د. عبد الله شاكر
– براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة	بقلم : بكر بن عبد الله أبو يزيد
– بروتوكولات حكماء صهيون	مترجمة عن الإنجليزية
– ومعه رسالة : موقف اليهودية من الإسلام	تأليف : سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز
– البرهان في بيان القرآن	تأليف : العلامة الموفق ابن قدامة المقدسي .
– بغية الكمال شرح تحفة الأطفال	تأليف : أسامة بن عبد الوهاب
– البيان المفيد عن حكم التمثيل والأناشيد	تأليف : عبد الله عبد الرحمن السّليماني .
	تقديم : صالح بن فوزان آل فوزان
– البيان والإشهار [وهو في الذب عن	تأليف العلامة : فوزان السابق
الدعوة السلفية ورد شبهات المخالفين]	
– التبيان فيما يبطل عمل الإنسان .	جمع شباب مسجد سعيد بن جبير بالكويت
– تبييض الصحيفة بأصول الأحاديث الضعيفة	تأليف : الشيخ محمد عمرو عبد اللطيف
– تحفة الأحباب من صحيح الأذكار والدعاء المستجاب	تأليف : الشيخ مصطفى العدوي .
– تحفة الأريب بما جاء في العصا للخطيب	تأليف :محمد بن عبد الوهاب الوصابي .
– تحذير الأمة عن التهاون بصلاة الجماعة والجمعة .	تأليف : عبد العزيز عبد الرحمن الشثري .
– تحذير أهل الإيمان عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن	تأليف :إسماعيل بن إبراهيم الخطيب الأزهري
– التحذير من مختصرات الصابوني .	بقلم : بكر بن عبد الله أبو زيد
– تحذير ولاة الأمور من المغالاة في المهور	تأليف : محمد موسى البيضاني
– تحكيم الناظر فيما جرى من الاختلاف بين أمة	تأليف : الشيخ صالح بن أحمد .
أبي القاسم « صلى الله عليه وعلى آله وسلم »	
– التدابير الشرعية الواقية من انحراف الأحداث	بقلم : الدسوقي السيد الدسوقي عبد
[أو كيف نحفظ أولادنا من الانحراف]	
– تذكرة الإخوان بخاتمة الإنسان	جمع : عادل بن عبد الله السعيدان
– تذكير أولات الألباب بما ورد في الحجاب والنقاب	تأليف : عادل يوسف العزازي

من مطبوعات مكتبة التوعية الإسلامية بالهرم ت : ٨٦٨٦٠٥

- تذكرة الحج والعمرة	تأليف : الشيخ رجائى بن محمد المصرى
- التذكرة فى صفة وضوء وصلاة النبى ﷺ .	تأليف : على حسن عبد الحميد الحلبى
- الترقيم وعلاماته فى اللغة العربية .	تأليف : شيخ العربية أحمد زكى اعتنى به : عبد الرحمن فودة
- تزكية النفوس وتربيتها كما يقرره علماء السلف .	تأليف : أحمد فريد تحقيق : ماجد بن أبى الليل
- تصحيح المفاهيم فى جوانب العقيدة .	تأليف الشيخ : محمد بن أمان الجامي
- تطهير المجتمعات من أرجاس الموبقات [وهوأجمع ما كُتب فى بيان الكبائر] .	تأليف : أحمد بن حجر آل بوطامي
- التعالم وأثره فى الفكر والكتاب .	بقلم : بكر بن عبد الله أبو زيد
- التقريرات السنية شرح المنظومة البيقونية .	تأليف : الشيخ حسن المشاط
- تكميل النفع بما لم يثبت به وقف ولا رفع .	تأليف : محمد عمرو عبد اللطيف
- تمام الكلام في بدعية المصافحة بعد السلام	تأليف : الشيخ محمد بن موسى نصر
- التمييز في معرفة أقسام الألفات في كتاب الله العزيز	تأليف : محمد بن أحمد بن داود تحقيق / د . على حسين البواب
- تنبيهات هامة على ملابس المسلمين اليوم	تأليف : أبى المنذر عبد الحق عبد اللطيف
- تنبيه أهل العصر بما جاء في الاضطجاع بعد ركعتى الفجر وتبصير الوري بما جاء في صلاة الضحى	تأليف : عقيل بن محمد المقطرى تقديم ومراجعة :الشيخ مقبل بن هادى
- تنوير الأفهام لبعض مفاهيم الإسلام	تأليف : الشيخ محمد إبراهيم شقرة
- التوبيخ والتنبيه	تأليف : أبى الشيخ الأصبهاني تحقيق : أبى الأشبال حسن المندوه
- توعية الآباء والأمهات بتربية الأبناء والبنات	تأليف : مسعد بن عبد الحميد السعدنى
- التوضيح الأبهر لتذكرة ابن الملقن فى علم الأثر	تأليف : الحافظ شمس الدين السخاوى تحقيق : حسين بن إسماعيل الجمل
- الثبات عند الممات	تأليف : الإمام ابن الجوزى تحقيق : خالد على محمد
- ثلاث رسائل في الحجاب	تأليف : العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز الشيخ ابن عثيمين والشيخ السندي
- ثلاث رسائل فى المحبة	تأليف : عبد الله بن إبراهيم الجار الله
- ثلاث كلمات في الإخلاص والإحسان والالتزام بالشريعة	تأليف : الشيخ عبد المحسن العباد
- الثمرات الزكية في العقائد السلفية	تأليف : أحمد فريد
- الثمر الداني فى الذب عن الألبانى	تأليف : أبى إسحاق الحوينى تحت الطبع

من مطبوعات مكتبة التوعية الإسلامية بالهرم ت : ٨٦٨٦٠٥

– جامع أحكام النساء « الأدب »	تأليف : مصطفى بن العدوى
– الجرح والتعديل من كلام الإمام الترمذى	جمع وترتيب : عصام بن مرعى
– جهالات خطيرة في قضايا اعتقادية كثيرة	تأليف : د. عاصم بن عبد الله القريوتى
– حاشية ثلاثة أصول	تأليف : شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب شرح : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم
– الحجاب لماذا ؟	تأليف : محمد بن أحمد إسماعيل
– الحجاب [نعمة وأمل لا نقمة وألم]	تأليف : الأديب مصطفى لطفى المنفلوطى اعتنى به : على حسن عبد الحميد الحلبى.
– الحسبة في الإسلام	تأليف : شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق وتعليق : أبو المنذر سامى أنور
– حقوق على العباد دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة	تأليف : الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين تحقيق : الشيخ محمد عمرو عبد اللطيف
– حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية	بقلم : بكر بن عبد الله أبو زيد
– حكم القراءة للأموات	تأليف : الشيخ محمد عبد السلام الشقيري
– حلية طالب العلم	بقلم : بكر بن عبد الله أبو زيد
– الحياء في الكتاب والسنة الصحيحة	تأليف : سليم الهلالي
– الحيدة (وانتصار المنهج السلفى)	تأليف : الإمام عبد العزيز الكنانى المكى
– خطوات الشيطان لإضلال الإنسان [المستخلص من تلبيس إبليس]	تهذيب : حسن بن عبد الحميد بن محمد تحت الطبع
– الخلافة والملك ومنهاج السنة النبوية	تأليف : رجائى بن محمد المصرى المكى
– الدرة البهية في التقليد والمذهبية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية	دراسة وتحقيق : محمد شاكر الشريف
– الذل والانكسار للعزيز الجبار (الخشوع في الصلاة)	تأليف : الإمام ابن رجب الحنبلي تحقيق : محمد عمرو عبد اللطيف وحسين الجمل . تحت الطبع
– ذم الموسوسين	تأليف : الشيخ ابن قدامة المقدسي تحقيق : أبى الاشبال حسن المندوه
– ربيع الأبرار بصحاح الآثار	تأليف : محمد عمرو عبد اللطيف تحت الطبع